

## أبناء ذوي الإعاقة: حاجة صامتة إلى الدعم وتخفيف العبء

إعداد

د. أروى علي عبد الله أخضر

يُسلط الضوء في كثيرٍ من الأدبيات التربوية والنفسية على الأشخاص ذوي الإعاقة واحتياجاتهم المختلفة، وهو اهتمامٌ مستحقٌ وضروري، إلا أنّ فئةً أخرى تعيش في محيط الإعاقة وتُسهم في التكيف معها يوميًا لا تزال أقلّ حضورًا في النقاش العلمي، وهم أبناء ذوي الإعاقة. يولد أبناء ذوي الإعاقة في ظروف أسرية خاصة تجعلهم يكتسبون منذ وقتٍ مبكر مسؤولياتٍ وأدوارًا تختلف، في كثير من الأحيان، عن أقرانهم. فوجود أحد الوالدين من ذوي الإعاقة لا يعني ضعف الأسرة، بل قد يكون عاملاً في تنمية قيم إنسانية عميقة لدى الأبناء، مثل التعاطف، وتحمل المسؤولية، والصبر، والاستقلالية.

ومنذ الطفولة المبكرة، يبدأ هؤلاء الأبناء في إدراك طبيعة الوضع الأسري الذي يعيشون فيه فيتعلمون كيفية التكيف مع احتياجات الوالد أو الوالدة، وقد يشاركون في بعض المهام اليومية البسيطة، مثل المساعدة في الحركة، أو ترتيب المنزل، أو متابعة بعض الأمور الحياتية. وتسهم هذه التجارب المبكرة في بناء شخصية قوية قادرة على مواجهة التحديات بثقة.

ومع تقدّمهم في العمر، تتسع أدوارهم لتشمل تقديم الدعم النفسي والاجتماعي لوالديهم، حيث يصبح الأبناء مصدر قوة وتشجيع، ويسهمون في تعزيز الشعور بالاستقرار داخل الأسرة. كما يكتسبون غالبًا مهاراتٍ في التواصل الفعّال وحل المشكلات نتيجة تعاملهم المباشر مع ظروف مختلفة ومتنوعة منذ الصغر.

ومع ذلك، قد يواجه هؤلاء الأبناء تحدياتٍ نفسية واجتماعية وتربوية متشابكة، مما يجعل من الضروري الالتفات إليهم بوصفهم فئةً تحتاج إلى الدعم والرعاية وتخفيف من الأعباء الملقاة على عاتقهم.

فينشأ أبناء ذوي الإعاقة غالبًا في بيئاتٍ أسرية تتطلب منهم تحمّل مسؤولياتٍ إضافية مقارنةً بأقرانهم، سواء تمثلت هذه المسؤوليات في تقديم المساندة المباشرة لوالديهم، أو المشاركة في أدوار أسرية مبكرة، أو التكيف مع ضغوط اجتماعية ونفسية مرتبطة بظروف الإعاقة داخل الأسرة. وقد يؤدي ذلك إلى شعور بعضهم بالإجهاد الانفعالي، أو القلق، أو تضارب الأدوار بين متطلبات الطفولة ومتطلبات المسؤولية الأسرية.

كما قد يجد بعض الأبناء أنفسهم أقل قدرةً على المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، أو أقلّ تفرغًا للتحصيل الدراسي، نتيجة انشغالهم بمساندة الأسرة أو انخراطهم المبكر في أدوار تفوق أعمارهم النمائية.

ويعكس ذلك كله أثر التجربة الأسرية في تشكيل توجهاتهم المستقبلية وأهدافهم الحياتية. وعلى الرغم من التحديات التي قد تواجههم، فإن هذه التجربة تمنحهم قوةً داخلية وتميزًا في الشخصية، وتجعلهم أكثر قدرةً على التكيف مع الظروف المختلفة، وأكثر تقديرًا لقيمة العطاء والتضامن الأسري. كما ينمي ذلك لديهم حسًا عاليًا بالمسؤولية تجاه المجتمع، ويعزز إدراكهم لأهمية التعاون والتكافل الاجتماعي، وقد يصبح بعضهم لاحقًا من المدافعين عن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة أو العاملين في المجالات الإنسانية والاجتماعية.

ومن هنا تبرز أهمية توفير برامج دعم نفسي وتربوي موجّهة لأبناء ذوي الإعاقة، تساعد على التعبير عن مشاعرهم، وتعزز قدرتهم على التكيف الإيجابي مع ظروف أسرهم، وتخفف من الأعباء غير المتكافئة التي قد يتحملونها. كما أن إدماجهم في برامج الإرشاد الأسري والمدرسي يساهم في تعزيز شعورهم بالأمان النفسي والانتماء، ويمنحهم مساحةً صحية للنمو المتوازن.

كذلك يُعدّ تعزيز الوعي المجتمعي بدور أبناء ذوي الإعاقة خطوةً أساسية نحو دعمهم؛ إذ إن الاعتراف بتجارهم وتحدياتهم يمثل مدخلًا مهمًا لبناء سياسات وبرامج تراعي احتياجاتهم، وتساهم في تحقيق التوازن داخل الأسرة. فالدعم لا ينبغي أن يقتصر على الشخص ذي الإعاقة وحده، بل يجب أن يمتدّ إلى جميع أفراد الأسرة بوصفهم منظومةً مترابطةً يؤثر بعضها في بعض.

إن الالتفات إلى أبناء ذوي الإعاقة ليس ترفنًا تربويًا، بل ضرورة إنسانية وتربوية تساهم في بناء أسرٍ أكثر تماسكًا، ومجتمعٍ أكثر وعيًا وعدالة. كما أن تخفيف العبء عن هذه الفئة يمثل استثمارًا حقيقيًا في صحتهم النفسية وتوازنهم الاجتماعي، بما ينعكس إيجابًا على جودة حياتهم وحياة أسرهم على حدّ سواء.

وفي الختام، فإن أبناء ذوي الإعاقة ليسوا مجرد أفرادٍ متأثرين بظروف أسرهم، بل هم شركاء فاعلون في بناء أسرة متماسكة ومجتمعٍ أكثر وعيًا وإنسانية.